



لن تقوم حرب البسوس

الخنساء: زعموا أنك قتلت ناقة خالته
البسوس قرب المرعى، هكذا يقول معظم
أطفال قبيلة بكر وحتى كبارها، لذلك
سيأتي قابيل ليأخذ ثأره منك.

هابيل: وما شأنى أنا بالأمر؟

الخنساء: قابيل يتهمك بأنك المسؤول عن
هذا القتل. أنت الذي صوبت إليها سهمك.
ويقول: إن لديه شهودا كثيرا على ذلك.

هابيل: أنا! أنا! ما هذا الافتراء والادعاء
الباطل؟

الخنساء: انظر يا هابيل، إن قابيل قادم على فرسه، وهو
يحمل سيفاً ربما يريد به رقبتك على غرار أخينا
الوحيد صخر.

قابيل: اخرج يا هابيل من خيمتك، اخرج لتبارزني بسيفك
المثلّم إن كنت فارساً شجاعاً أو عنتره هذا
الزمان؟

هابيل: وما الأمر بيننا لكي أخرج إليك؟



د . جميل حمداوي - المغرب

(تدخل الخنساء مذعورة خيمة هابيل...)
الخنساء: هابيل، يا هابيل! قم من نومك
لأخبرك بما وقع اليوم!
هابيل: دعيني أتم يا أختي، اليوم نوم وغدا
أمر!

الخنساء: استيقظ يا هابيل! استيقظ بالله
عليك! الوقت ضحى، و نار الشمس
تتوهج حرقة واشتعالا.

هابيل: ها أنا ناهض. ماذا وقع في الخارج
لكي توقظيني في هذا الوقت
المبكر؟

الخنساء: لقد اشتعلت حرب البسوس .
هابيل: ومن الذي أشعلها؟

الخنساء: صديقك قابيل الذي قتل أخانا الأصغر صخر
وجعلني أبكيه ليلاً ونهاراً.

هابيل: وما الداعي إلى هذه الحرب التي يريد أن يضرمها
صديقي قابيل؟

قاييل: أنت الذي قتلت ناقة خالتي البسوس.

هابيل: هذا مستحيل يا صديقي! أنا لم أر ناقة ولا غزالة. كنت شهرا كاملا أطوف حول الكعبة، أتقرب إلى الله. اسأل صديقك إبراهيم وصديقك إسماعيل. إنهما أكثر الأطفال صدقا وأمانة وخوفا من الخالق الأحد. قاييل: لقد أشعلت قلبي أيها اللعين غيرة وحقدًا عندما أعطاك الله رزقا وفيرا وتقبل منك قربانك. وأنا الفارس المغوار لم يتقبل ربك مني قرباني. وليس لدي أنا قاييل بن آدم فارس الجزيرة الهمام ما لديك من غنائم ومأكّل ومشرب وزيت أركان^(١) وأشجار النخيل والزيتون.

هابيل: هذه نعم يمنحها الله لعباده المخلصين، فهو الذي يقسم الأرزاق حسب مشيئته.

قاييل: إنها قسمة ضيزى، لن أرضى بها عدلا!! فكيف أقبل أنا بالذل والفقر وجذب الصحراء، وأنت تتعم بالثراء والغنى وحرير الهند والصين؟

هابيل: هذا جزاء من الله لأهل السلام والمحبة وأطفال البراءة.

قاييل: إنني سأعلن عليك حربا ستدوم أربعين سنة، سمها ما شئت: سمها حرب البسوس، أو حرب طروادة، أو حرب داحس والغبراء، أو حرب مائة سنة، أو

حرب الشمال والجنوب، أو حرب الخليج، أو حرب الحسد والغيرة والطمع!! المهم هو أن أنتقم منك يا هابيل.. أيها العدو اللدود، وأرميك في الفلاة كالبعير الأجرب لتأكلك الصقور والغربان.

هابيل: أما أنا، فلن أقاتلك يا قاييل، وأنا بريء من دمك ودم ناقة خالتك البسوس، وأنت تعلم جيدا أن لاناقة لي ولاجل في مسابقة داحس والغبراء. وأنا لن أخوض الحرب ضدك يا صديقي قاييل مهما اعتديت علي وحاولت قتلي. إنني أحبك كثيرا؛ لأننا إخوة من نفس واحدة ومن نفس شجرة النسب.

قاييل: أبعد عني طبيبتك الماكرة، وخنوعك الساذج. فأنت أشبه بنار تحت تبن البيدر. تحرق إخوتك أيها اللعين بضرام كيدك وسماحة قلبك. اكشف قناعك... اكشف قناعك. وقل للأطفال الصغار: إنك تمثل دور الخير والطفل البريء. كن مثل بريخت واكشف بكل جرأة أوراق مسرحيتك الزائفة لجمهورك الصغار.

هابيل: قل ما تشاء يا قاييل. إنني لن أخوض معك حربا حامية الوطيس تأتي نازها على الأخضر واليابس. وستهلك الأطفال وفلذات الأكباد وتحرم الأمهات من أولادهم الرضع وأطفالهم الأبرياء. يكفينهم ما يحصده بحر الأبيض والأسود... و بحر الظلمات غرقا من رقاب هؤلاء الصغار. واسأل الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى عن الحرب الضروس وويلاتها!! قاييل: أنا أكره الأطفال، ولا يهمني هؤلاء الأشقياء وما سيقولون عني. المهم هو أن الحرب ستحصد روحك وأرواحهم وستشرب دماءهم. ولا يهمني إن وصفوني بنبيرون أو هولاء أو الحجاج أو هتلر أو فرانكو أو شارون أو بوش. المهم هو أن أتلدز بالموت وزهق أرواح الصغار.



هابيل: ألم نجرب يا قاييل، يا صديقي، لمدة أربعين سنة حروبا أشعلناها لأتفه الأسباب؟ ألم نلعب لعبة القط والفأر، وميكي ماوس في ساحة ديزني؟ أشعلنا حروبا يا قاييل على الحدود وزيت الزيتون وعلى أشجار من الأرض القاحلة الجذباء، وتناحرنا على أطماع واهية لاقيمة لها.

قاييل: إنها حروب وجبهة وعادلة، لاضرر ولاضرار، تعيد لنا الشرف والمجد.

هابيل: أي مجد وشرف تتحدث عنه يا قاييل: كم من أيام خضناها؟! كانت يوما علي ويوما عليك. وقد لاحظت ما أنتجت هذه الحروب من جرحى ومعطوبين وقتلى وأرامل ویتامی!



قابيل: هذه سنة الحياة، ألم يقل فيلسوفكم هيجل وشقيقه
ماركس إن الحياة صراع جدلي: سيد وعبد؟
هابيل: إن الإسلام لا يدعو إلى الحرب والخراب ولا إلى
الإرهاب، الإسلام دين مدنية وعمران وسلام
وتعايش يا قابيل.

هابيل: يلتفت هابيل إلى صالح الرجل الحكيم والطاعن في
السن: لماذا لا تتكلم يا صالح؟ لماذا لا تتكلم يا صالح؟
أما مضيت وقتا طويلا وأنت صامت يا حكيم الزمان؟
ما رأيك فيما يدعوني إليه صديقي قابيل؟

صالح: أرجوكم أن تكفوا عن هذه الحروب
الطفولية البهلوانية.

كنتم في الماضي
بحربيكم كما تثيران
ضحك جاركم الأيمن
الطفل قيصر وجاركم
الأيسر الطفل كسرى.
أما اليوم، فتسخر منكم
فتاة جيرانكم الحسنة
للعب المعروفة بذكاثها الحاد
إنها إساميكا ISRAMICA.

وقيل إنها قدمت من الغرب واستوطنت
خيمة أهل الجزيرة. وتريد لكما دائما أن تلعبا لعبة
السيف والنار، وفي بعض الأحيان يعجبها عندما
تلعبان لعبة القط والفأر.

قابيل: من هي إساميكا؟

صالح: هي فتاة شقراء من عمركم الطفولي، قتلت كما قيل
طفلا يسكن بخيام عشيرة دجلة والفرات يسمى
امراً القيس وسرقت منه فرسه وسيفه في باريس،
وتركته وحيدا يندب حظه بين اللهو والمجون.

هابيل: إلى ماذا تلمح يا صالح؟

صالح: أرجو منكم أن تتعقلا وتعودا إلى رشدكما، وأن
تتركا هذه الحروب الدونكيشوتية. ألم تعلما أن
لكما أعداء يتربصون بكما مثل كوهين ودانييل
وجورج وفريدمان؟ يريدون لكما أن تتبارزا حتى
يقتل الأخ منكم أخاه، والمثل يقول كما تعلمان جيدا:

أكلت يوم أكل الثور الأبيض!!

قابيل: وماذا تريد منا؟

صالح: (يضحك بصوت كالبكاء): ماذا أريد منكما؟ (يقول
بسخرية ناصحة): يقولان: ماذا أريد منهما؟

هابيل: لماذا تضحك يا شيخنا صالح؟

صالح: أريد منكما أن تغيرا لعبة الحرب بلعبة السلم، وأن
تبتعدا عن قاموس الرعب والأطماع، وتستبدلا
به كتاب الفضيلة والقناعة، وسفر القوة في باب
الوحدة.

قابيل: أي وحدة تقصد؟

صالح: لماذا لا تتحدان مع أطفال

القبائل وخيام الجزيرة وعشيرة

البيداء ضد الجهل والفقر

والحرب والإقصاء والتغريب

والإرهاب؟!

هابيل: وكيف ذلك؟

صالح: عليكمما بالحب

والشعر!

قابيل: بالحب والشعر. كيف؟

كيف! كيف ذلك؟!

صالح: الحب يا أطفال يعلمنا الأخوة

ووحدة المشاعر وصدق الإحساس ونقاء

الضمير واحترام الإنسان ونبذ العنف. أما الشعر

فهو إكسير الحياة يردنا دائما إلى أحلام الطفولة

وعشق الطبيعة وشمس الصباح.

هابيل: مارأيك أن نتصالح يا قابيل لتتصافى قلوبنا من الغل

والحق؟

قابيل: رأيي هو رأيك، اعطني يدك يا هابيل، واعطني يدك

يا صالح! ولنقل جميعا بصوت واحد:

الكل بصوت واحد: فلنتحد كلنا من أجل الحب والسلام،

نعم لغصن الزيتون، وحمائم الغاب، وأطفال الحياة،

وبراعم الفجر. لا! وألف لا.. للدمار والخراب

والإرهاب، وحروف النفي والجزم والقلب، ولغة

الإبدال والإعلال!!! ■

(١) شجرة أركان تنبت بكثرة في منطقة أغادير بالمغرب تعطي زيتاً

لذيذاً يستعمل في الطعام.